تفسير الطبري

جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن

الجزء الأول

فيه

رسالة التفسير

وتفسير فاتحة الكتاب

وتفسير سورة البقرة

من ١ — ٤٣

والآثار من ١ — ٨٣٩

تفسير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

تبركة من الله وأمر

الحمد لله رب العالمين * الرحمنِ الرحيم * مَلِكِ يومِ الدين *

والحمد لله الذى خلق السمٰوات والأرضَ وجعل الظلماتِ والنورَ .

والحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعلْ له عِوَجاً .

والحمد لله الذى له ما فى السمٰواتِ والأرضِ ، وله الحمد فى الآخرة ، وهو الحكيمُ الخبيرُ .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنَّا لنهتدىَ لولا أنْ هدانا الله .

وصلى الله وسلم و بارك على سيدنا ومولانا محمدٍ ، رسول الله وخيرته من خلقه ، خاتم النبيين ، وأشرف المرسلين .

وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

« فصلَّى الله على نبيِّنا كلَّما ذكره الذاكرون ، وغَفَل عن ذكره الغافلون . وصلى الله عليه فى الأوَّلين والآخرين . أفضلَ وأكثرَ وأزكىٰ ما صلَّى على أحدٍ من خلقه . وزكَّانا وإياكم بالصلاة عليه ، أفضلَ ما زكَّىٰ أحداً من أمته بصلاته عليه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته »[1] .

---

(١) اقتباس من كلام الشافعى ، فى كتابه (الرسالة) ، رقم ٣٩ ، بتحقيقنا .

أما بعد :

فإن هذا التفسير الجليل ، باكورة عمل عظيم ، تقوم به « دار المعارف بمصر » ، لإحياء « تُراث الإسلام » ، وإخراج نفائس الكنوز . التى بقيتْ لنا من آثار سلفنا الصالح ، وعلمائنا الأفذاذ . الذين خدموا دينَهم ، وعُنُوا بكتاب ربّهم ، وسنّة نبيّهم ، وحفظِ لغتهم ، بما لم تصنعه أمةٌ من الأمم ، ولم يبلغْ غيرُهم مِعْشارَ ما وفّقهم الله إليه .

فكان أوّلَ ما اخترنا ، باكورةً لهذا المشروع الخطير : كتابُ « تفسير الطبرى » . وما بى من حاجةٍ لبيان قيمته العلمية ، وما فيه من مزايا يندر أن توجدَ فى تفسيرٍ غيرِه . وهو أعظم تفسير رأيناه ، وأعلاه وأثبتُه . استحقّ به مؤلفُه الحجةُ أن يسمَّىٰ (إمامَ المفسّرين) .

وكنتُ أخشى الإقدامَ على الاضطلاع بإخراجه وأُعْظِمُه ، عن علمٍ بما يكتنفُ ذلك من صعوباتٍ ، وما يقوم دونَه من عقباتٍ ، وعن خبرةٍ بالكتاب دهراً طويلاً : أربعين سنةً أو تزيد .

لولا أنْ قوّىٰ من عزمى ، وشدَّ من أزْرى ، أخى الأصغر ، الأستاذ محمود محمد شاكر . وهو — فيما أعلم — خيرمن يستطيع أن يحمل هذا العبء ، وأن يقوم بهذا العمل حقَّ القيام ، أو قريباً من ذلك . لا أعرف أحداً غيرَه له أهلاً .

وما أريد أن أشهدَ لأخى أو أُثْنِيَ عليه . ولكنى أقرّ بما أعلم ، وأشهد بما أستَيْقِن .

وقد أَبَىٰ أخى السيد محمود إلّا أن يُلْقِيَ علىّ بعضَ العبء ، بالتعاون معه فى مراجعة الكتاب ، وبتخريج أحاديثه ، ودَرْس أسانيده . وهذا — وحدَه — عملٌ فوقَ مقدورى . ولكنّى لم أستطع التخلىَ عنه ، فقبلتُ وعملتُ ، متوكلاً على الله ، مستعيناً به .

وأسأل الله سبحانه الهدى والسداد ، والرعاية والتوفيق . إنه سميع الدعاء .

كتبه

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه بمنه

القاهرة يوم الجمعة ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيماً ﴾

• • •

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴾

• • •

والحمد لله الذى أرسلَ رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهُدَىٰ ودِينِ

الحقّ ليُظْهِرَه عَلَى الدِّين كُلّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكونَ . ﴿ يُسَبِّحُ لِلّهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ الْمَلِكِ القدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ هُوَ الذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

* * *

اللّهُمّ إنّا نبرأُ إليك من كُلِّ حَوْلٍ وقوّةٍ ، ونستَعينك ونَسْتَهديك ، ونعوذُ برضاكَ من غَضَبِك ، فاغفر لَنا وارْحمنا وتبْ علينا إنّك أنْتَ التّوّابُ الرّحيم . ربّنا وَلَا تجعلنا من الذين فرّقُوا دِينَهم وَكانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون .

* * *

اللّهُمّ اجعلنا مسلِمِينَ لك ، وَافِين لك بالميثاق الذى أخذتَ علينا : أن نكون قوّامين بالقِسْط شُهَدَاء على الناس ، اللهُمّ اهدنا صراطَك المستقيم ، صراطَ الذين أنعمت عليهم من النبيّين والصِّدِّيقين والشُّهَدَاء ، الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا ، وعلموا أنك أنت الجبّارُ الذى خَضَعَتْ لجَبرُوتِه الجبابرة ، والعزيزُ الذى ذلّتْ لعزّته الملوكُ الأعِزّة ، وخَشَعت لمهابة سَطْوتِه ذوُو المهابة ، فلم يُرهِبْهم بغىُ باغٍ ولا ظُلْم سفّاحٍ ظالم : ﴿ يثبّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ويَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ

غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾

• • •

اللّهُم اغفر لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وتغمّده برحمتك ، واجعله من السابقين المقرَّبين فى جنّات النعيم ، فقد كان — ما عَلِمْنا — من الذين بَيّنوا كتابَك للناس ولم يكتموه ، ولم يشتَرُوا به ثَمناً قليلاً من مَتاع هذه الحياةِ الدنيا ؛ ومن الذين أدَّوْا ما لزمهم من حقِّك ، وذادُوا عن سنة نبيِّك ؛ ومن الذين ورَّثوا الخلَفَ من بعدهم علم ما عَلموا ، وحمَّلوهم أمانةَ ما حَملوا ، وخلعُوا لك الأندادَ ، وكفَروا بالطاغوتِ ، ونَصَحوا عن دينك ، وذبُّوا عن شريعتك ، وأفضَوْا إليك ربَّنا وهمْ بميثاقك آخذون ، وعلى عهدك محافظون ، يرجون رَحْمتَك ويخافُون عذابَك . فاعفُ اللهمّ عنا وعنهم ، واغفر لنَا ولهم ، وارحمنا وارحمهم ، أنت مولانَا فانصرنَا على القومِ الكافرين .

• • •

كان أبو جعفر رضى الله عنه يقول : « إنّى لأعجبُ ممّنْ قرأ القرآن ولم يعلَمْ تأويلَه ، كيف يلتذُّ بقراءته ؟ » . ومنذ هدانى الله إلى الاشتغال بطلب العلم ، وأنا أصاحب أبا جعفر فى كتابيه : كتاب التفسير ، وكتاب التاريخ . فقرأتُ تفسيره صغيراً وكبيراً ، وما قرأتُه مرّةً إلّا وأنا أسمعُ صوته يتخطّى إلىّ القرون : إنى لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله ، كيف يلتذُّ بقراءته ؟ فكنتُ أجدُ فى تفسيره مصداقَ قوله رضى الله

عنه . بيد أنى كنتُ أجدُ من المشقّة فى قراءتِه ما أجد .

كان يستوقفنى فى القراءةِ ، كثرةُ الفُصُول فى عبارته ، وتباعُد أطراف الجُمَل . فلا يسلم لى المعنى حتى أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثاً . وكان سبب ذلك أننا ألفنا نهجاً من العبارة غيرَ الذى انتهج أبو جعفر ، ولكن تبيَّن لى أيضاً أن قليلاً من الترقيم فى الكتابِ ، خليقٌ أن يجعَل عبارته أبينَ . فلما فعلتُ ذلك فى أنحاء متفرقة من نسختى ، وعدتُ بعدُ إلى قراءتِها ، وجدتُها قد ذهب عنها ما كنت أجد من المشقّة . ولما راجعتُ كتب التفسير ، وجدتُ بعضَهم ينقُل عَنْه ، فينسبُ إليه ما لم أجده فى كتابه ، فتبيَّنَ لى أن سبب ذلك هو هذه الجمل التى شقّت علىّ قراءتها . يقرؤها القارئ ، فربّما أخطأ مُرادَ أبى جعفرٍ ، وربّما أصابَ . فتمنَّيت يومئذٍ أن ينشر هذا الكتاب الجليلُ نشرةً صحيحة محقّقة مرقّمةً ، حتى تسهُل قراءتُها على طالب العلم ، وحتى تجنّبه كثيراً من الزَّلل فى فهم مُرَاد أبى جعفر .

ولكنْ تبيَّن لى على الزمن أن ما طبع من تفسير أبى جعفر ، كانَ فيه خطأ كثير وتصحيفٌ وتحريف ، ولما راجعتُ التفاسير القديمة التى تنقُل عَنْه ، وجدتُهم يتخطّونَ بعض هذه العبارات المصحفة أو المحرفة ، فعلمتُ أن التصحيف قديم فى النسخ المخطوطة . ولا غرو ، فهو كتابٌ ضخْمٌ لا يكادُ يسلمُ كلّ الصواب لناسخه . وكان للذين طبعوه عذرٌ قائمٌ ، وهو سقم مخطوطاته التى سلمت من الضياع ، وضخامة الكتاب ، واحتياجه إلى مراجعة مئات من الكتب ، مع الصبْر على المشقة والبَصَر بمواضع

الخلَل . فأضمرتُ فى نَفسى أن أنشُر هذا الكتابَ ، حتى أؤدّى بعض حقٍّ الله علىّ ، وأشكر به نعمةً أنالُها — أنا لهَا غيرُ مستحقّ — من ربٍّ لا يؤدّى عبدٌ من عباده شكرَ نعمة ماضيةٍ من نعمه ، إلّا بنعْمة منه حادثةٍ توجِب عليه أن يؤدّى شكرها ، هى إقدارُه على شكر النعمة التى سلفت ؛ كما قال الشافعى رضى الله عنه .

وتصرَّم الزَّمن ، وتفانت الأيّامُ ، وأنا مستهلَكٌ فيما لا يُغْنى عنّى شيئاً يوم يقوم الناس لربّ العالمين . حتَّى أيقظَنِى عدوانُ العادِين ، وظُلْم الظّالمين ، وطغيانُ الجبابرة المتكبّرين ، فعقدت العزمَ على طبع هذا التفسير الإمامِ ، أتقرَّبُ به إلى ربِّ العالمين ، ملك يوم الدين .

وأفضيتُ بما فى نفسى إلى أخى الأكبر السيد أحمد محمد شاكر — أطال الله بقاءه ، وأقبسنى من علمه — فرأى أن تنشره « دار المعارف » ، باكورةَ أعمالها فى نشر ﴿ تُراث الإسلام ﴾ . ولم يمض إلا قليل حتى أعدَّت الدار عُدّتها لنشر هذا الكتاب الضخم ، مشكورةً على ما بذلته فى إحياء الكتاب العربىّ .

وكنت أحبُّ أن يكون العمل فى نشر هذا الكتاب مشاركة بينى وبين أخى فى كلّ صغيرةٍ وكبيرة ، ولكن حالت دون ذلك كثرة عمله . وليتَه فَعَل ، حتى أستفيد من علمِه وهدايته ، وأتجنّبَ ما أخاف من الخطإ والزلل ، فى كتابٍ قال فيه أبو عمر الزاهد ، غلام ثعلب : « قابلتُ هذا الكتاب من أوّله إلى آخره ، فما وجدتُ فيه حرفاً خطأً فى نحو أو لغة » . وأنّى لمثلى أن يحقّق كلمة أبى عمر فى كتاب أبى جعفر !

ونحن أهل زمانٍ أُوتوا من العجز والتهاون ، أضعافَ ما أُوتى أسلافُهم من الجدّ والقدرة !

فتفضل أخى أن ينظرَ فى أسانيد أبى جعفر ، وهى كثيرة جدًّا ، فيتكلّم عن بعض رجالها ، حيثُ يتطلب التحقيق ذلك ، ثم يخرِّج جميع ما فيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن وجدَ بعد ذلك فراغًا نَظَر فى عملى وراجعه واستدرك عليه . فشكرتُ له هذه اليدَ التى طوّقنى بِها ، وكم له عندى من يدٍ لا أملك جزاءها ، عنْد الله جزاؤها وجزاءُ كلّ معروفٍ . وحسبُه من معروف أنّه سدّد خُطاىَ صغيرًا ، وأعاننى كبيرًا .

وتوليتُ تصحيحَ نصّ الكتاب ، وضبطه ، ومقابلته على ما بين أيدينا من مخطوطاته ومطبوعاته ، ومراجعته على كتب التفسير التى نقلت عنه . وعلّقتُ عليه ، وبيّنتُ ما استغلقَ من عبارته ، وشرحتُ شواهده من الشعر . وبذلتُ جُهْدى فى ترقيمه وتفصيله . فكلّ ما كان فى ذلك من إحسانٍ فمن الله ، وكلّ ما فيه من زَلَلٍ فمنّى ومن عجزى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والنسخ المخطوطة الكاملة من تفسير الطبرى ، لا تكادُ تُوجَد ، والذى مِنْها فى دار الكتب أجزاء مفردة من الجزء الأوّل ، والجزء السادس عشر ، ومنها مخطوطة واحدة كانت فى خمسة وعشرين مجلّدًا ضاع منها الجزء الثانى والثالث ، وهى قديمةٌ غير معروفة التاريخ . وهى على ما فيها تكادُ تكون أصحّ النسخ . وهى محفوظة بالدار برقم : ١٠٠ تفسير .

فجعلتها أمًّا لنشر هذا الكتاب. أما سائر المخطوطات فهى سقيمة رديئة، لم تنفع فى كثير ولا قليل، فضْلًا عن أنها قطع صغيرة منه.

فنهجتُ نهجاً آخر فى تصحيح هذا التفسير، وذلك بمراجعة ما فيه من الآثار على كتاب «الدرّ المنثور» للسيوطى، «وفتح القدير» للشوكانى، فهما يكثران النقل عن تفسير أبى جعفر. أما ابن كثير فى تفسيره، فإنه لم يقتصر على نقل الآثار، بل نقل بعض كلام أبى جعفر بنَصّه فى مواضع متفرقة، وكذلك نقل أبو حيان والقرطبى فى مواضع قليلة من تفسيريهما. فقابلتُ المطبوع والمخطوط من تفسير أبى جعفر على هذه الكتب. وكنت فى هذا الجزء الأوّل من التفسير أذكر مرجع كلّ أثرٍ فى هذه الكتب، ثم وجدتُ أن ذلك يطيل الكتاب على غير جدوى، فبدأت منذ الجزء الثانى أغفل ذكر المراجع، إلّا عند الاختلاف، أو التصحيح، أو غير ذلك مما يوجب بيان المراجع.

وراجعتُ كثيرًا ممّا فى التفسير من الآثار، على سائر الكتب التى هى مظنّة لروايتها، وبخاصّة تاريخ الطبرى نَفْسِه، ومن فى طبقته من أصحاب الكتب التى تروى الآثار بالأسانيد. وبذلك استطعتُ أن أحرّر أكثرها فى الطبرى تحريراً أرجو أن يكون حسناً مقبولًا.

أمّا ما تكلّم فيه من النحو واللغة، فقد راجعته على أصوله، من ذلك «مَجاز القرآن» لأبى عبيدة، «ومعانى القرآن» للفراء، وغيرهما ممّن يذكر أقوال أصحاب المعانى من الكوفيين والبصريين.

وأما شواهدُه فقد تتبعتُ ما استطعتُ منها فى دواوين العربِ، ونسبت

ما لم يكن منها منسوباً ، وشرحتُها ، وحققت ما يَحتاجُ إلى تحقيق من قصائدها ، مختصراً فى ذلك ما استطعت .

وقد رأيتُ فى أثناء مراجعاتى أنّ كثيراً ممن نقل عن الطبرى ، ربّما أخطأ فى فهم مُرَاد الطبرى ، فاعترض عليه ، لمّا استغلقَ عليه بعضُ عبارته . فقيدت بعضَ ما بدا لى خلالَ التعليق ، ولم أستوعِبْ ذلك استيعَاباً مخافة الإطالة ، وتركت كثيراً مما وقفتُ عليه من ذلك فى الجزء الأوّل ، ولكنى أرجو أنْ أستدرك ما فاتنى من ذلك فى الأجزاء الباقية من التفسير إن شاء الله ربُّنَا سبحانه .

وبيّنتُ ما وقفتُ عليه من اصطلاح النحاة القدماء وغيرهم ، ممّا استعمله الطبرى ، وخالفَه النحاةُ وغيرهم فى اصطلاحهم ، بعد ذلك ، إلى اصطلاح مُسْتَحدَث . وربّما فاتنى من ذلك شئ ، ولكنى أرجو أنْ أبيّن ذلك فيما يأتى من الأجزاء . وقد وضعتُ فهرساً خاصًّا بالمصطلحات ، فى آخر كلّ جزء ، حتى يتيسّر لطالب ذلك أن يجدَ ما استبهَمَ عليه من الاصطلاح فى موضع ، فى جزء آخر من الكتاب .

وكنتُ أحبُّ أن أبيّن ما انفردَ به الطبرىّ من القول فى تأويل بعض الآياتِ ، وأشرح ما أَغْفَله المفسّرون غيرُه ، ولكنى خفتُ أن يكونَ ذلك سبباً فى زيادة الكتاب طولاً على طوله ؛ مع أنى أرَى أن هذا أمرٌ يكشف عن كتاب الطبرى ، ويزيدنا معرفة بالطبرى المفسّر ، وبمنهجه الذى اشتقّه فى التفسير ، ولم اختلف المفسّرون من بعده ، فأغفلوا ما حرصَ هو على بيانه ؟

وكنتُ أحبُّ أيضاً أن أسهِّل على قارئ كتابه، فأجعل فى آخِرِ الآياتِ المتتابعة التى انتهى من تفسيرها، مُلَخَّصاً يجمَعُ ما تفرَّق فى عشراتٍ من الصفحاتِ. وذلك أنى رأيتُ نفسى قديماً، ورأيت المفسِّرين الذين نقلوا عَنْهُ، كانوا يقرأون القطعة من التفسير مفصولةً عمَّا قبلها، أو كانوا يقرأونه متفرِّقاً. وهذه القراءةُ، كما تبيَّن لى، كانتْ سبباً فى كثيرٍ من الخَلْط فى معرفة مُرَادِ الطبرى، وفى نسبة أقوالٍ إليه لم يقلْها. لأنَّه لما خاف التكرار لطول الكتابِ، اقتصَر فى بعض المواضِع على ما لابُدَّ منه، ثقةً منه بأنَّه قد أبان فيما مضى من كتابه عن نهجه فى تفسير الآيات المتصلة المعانى. والقارئُ الملتمِس لمعنى آيةٍ من الآياتِ، ربَّما غَفَل عن هذا الترابُط بين الآية التى يقرؤها، والآيات التى سبقَ للطبرى فيها بيانٌ يتّصل كل الاتصالِ ببيانه عن هذه الآية. ولكنى حين بدأت أفعل ذلك، وجدت الأمر شاقًّا عسيرًا، وأنه يحتاجُ إلى تكرار بعضِ ما مضى، وإلى إطالةٍ فى البيانِ. وهذا شىءٌ يزيدُ التفسيرَ طولًا وضخامة.

ولمَّا رأيتُ أن كثيرًا من العلماء كان يعيبُ على الطبرى أنه حشَدَ فى كتابِهِ كثيرًا من الرواية عن السالفين، الذين قرأوا الكُتُب، وذكروا فى معانى القرآنِ ما ذكروا من الرواية عن أهل الكتابَيْن السالِفَيْن: التَّوراة والإنجيل — أحببتُ أن أكشف عن طريقة الطبرى فى الاستدلال بهذه الرواياتِ روايةً روايةً، وأبيّن كيف أخطأ الناسُ فى فهم مقصده، وأنّه لم يَجْعل هذه الروايات قطُّ مهيمنةً على كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وأحببتُ أن أبيّن عند كُلِّ روايةٍ مقالة الطبرىّ فى إسنادِها، وأنه إسنادٌ لا تقوم به حُجَّةٌ فى دين الله، ولا فى تفسير كتابه،

وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلالِ بالشِّعر القديم ، على فهم معنى كلمة ، أو للدلالة على سياقِ جملة . وقد علقتُ فى هذا الجزء ١ : ٤٥٤ ، ٤٥٨ وغيرها من المواضع تعليقاً يبينُ عن نهج للطبرى فى الاستدلال بهذه الآثار ، وتركتُ التعليقَ فى أما كنَ كثيرة جدًّا ، اعتمادًا على هـذا التعليق . ورأيتُ أن أدَعَ ذلك حتى أكتب كتاباً عن « الطبرى المفسِّر » بعد الفراغ من طبع هـذا التفسير . لأنى رأيتُ هناكَ أشياء كثيرةً ، ينبغى بيانُها ، عن نهج الطبرى فى تفسيره . ورأيتنى يجدّ لى كُلَّ يوم جديدٌ فى معرفة نهجه ، كلَّما زدتُ معرفةً بكتابه ، وإلفاً لطريقته . فأسأل الله أن يعيننى أن أفردَ له كتاباً فى الكلام عن أسلوبه فى التفسير ، مع بيان الحجّـة فى موضع موضعٍ ، على ما تبيّن لى من أسلوبه فيه . ورحمَ الله أبا جعفر ، فإنه ، كما قال ، كان حدَّث نفسَه بهذا التفسيرِ وهو صبىٌّ ، واستخار الله فى عمله ، وسأله العونَ على ما نواه ، ثلاثَ سنين قبل أن يعمله ، فأعانه الله سبحانه . ثم لمـا أراد أن يملى تفسيره قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدرُه ؟ فقال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هـذا مما تفنَى فيه الأعمارُ قبل تمامه ! فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقةٍ . فكان هذا الاختصار سبباً فى تركه البيانَ عمّا نجتهد نحنُ فى بيانه عند كل آية . وهذا الاختصارُ بيّنٌ جدًّا لمن يتتبّع هذا التفسيرَ من أوله إلى آخره .

هـذا وقد كنتُ رأيتُ أن أكتب ترجمةً للطبرى أجعَلُها مقدّمَةً للتفسير . ولكنّى وجدت الكتابة عن تفسيره فى هذه الترجمة ، لن تتيسّر لى

إلا بعد الفراغ من كتابه ، وكشف النقاب عمّا استبهم من منهاجِهِ في تفسيره . فأعرضتَ عن ذلك ، وقلت أجمع ترجمةً للطبرى ، فجمعتُ كُلَّ ما في الكتب المطبوعة والمخطوطة من ترجمة وأخبار ، وما قيل في تصانيفه وتعدادها ، فإذا هي قد تجاوزت ما يمكن أن يكونَ ترجمةً في صدر هذا التفسير، فآثرتَ أن أفردها كتاباً قائماً بنفسه ، سوف يخرجُ قريباً بعون الله سبحانه .

أمّا الفهارسُ ، فإنّي كنت أريدُ أن أدعَها حتى أفرغَ من الكتاب كُلِّه ، فأصدرها في مجلداتٍ مستقلّة ، ولكن الكتابَ كبيرٌ ، وحاجةُ الناسِ ، وحاجتي أنَا ، إلى مراجعة بعضه على بعض ، وربط أوّله بآخره أوجبتْ أن أتعجّل فأُفرد بعض الفهارس مع كُلّ جزء . فجعلت فهرساً للآيات التي استدلّ بها في غير موضعها من التفسير . فقد تبيّن لي أنّه ربّما ذكر في تفسير الآية في هذا الموضع ، قولًا في الآية لم يذكرُه في موضعها من تفسير السورة التي هي منها .

وأفردت فهرساً ثانياً لألفاظ اللغة ، لأنه كثير الإحالة على ما مضى في كتابه ، وليكون هـذا الفهرس مرجعاً لكل اللُّغَة التي رواها الطبرى ، وكثير منها ممّا لم يرد في المعاجم ، أو جاء بيـانه عن معانيها أجودَ من بيان أصحاب المعاجم . وهو فهرسٌ لا بُدَّ أن يتم عند كُلّ جزء، حتى لا يسقط عليّ شيءٌ من لغة الطبرى .

وأفردت فهرساً ثالثاً لمباحث العربيّة ، لأنّه كثيرًا ما يحيلُ على هذه المواضِع ، ولأنّ فيها نفعاً عظيماً تبيّنتُه وأنا أعمل في هذا التفسير . وزدت

فهرساً رابعاً للمصطلحات القديمة التى استحدث الناسُ غيرها ، ليسْهُل على قارئٍ كتابه أن يجد تفسيرها فى موضعها ، فإنى لم أفسِّرها عند كُلِّ موضع ذكرتْ فيه ، لكثرة تكرارها فى الكتاب . وفهرساً خامسًا ، هو ردوده على الفرق وأصحاب الأهواء .

وأفردتُ فهرساً سادساً للرجال الذى تَكلَّم عنهم أخى السيد أحمد فى المواضع المتفرقة من التفسير ، حتى يسهُل على من يريد أن يحقّق إسنادًا أن يجد ضالّته . فإنّه حفظه الله ، لم يلتزم الكتابة على الرجال عند كُلِّ إسنادٍ . وهذا فهرسٌ لا بُدّ منه مع كُلِّ جزء حتى لا تتكرّر الكتابة على الرجال فى مواضع مختلفة من الكتاب ، ولتصحيح أسماء الرجال حيث كانوا من التفسير .

أما الفهرس العام للكتاب ، فقد اقتصرت فيه على ذِكْرِ ما سوى ذلك ، ولم أذكر فيه بدأه فى تفسير كُلِّ آية ، لأنّ آيات المصحف مرقمة ، وأثبتنا أرقام الآيات فى رأس الصفحات . فمن التمس تفسير آية ، فليستخرج رقمها من المصحف ، وليطلبْ رقمها فى تفسير الطبرى من رؤوس الصفحات .

• • •

هذا ، وقد تركتُ أن أصْنَع للشعر فهرساً مع كلِّ جزء ، فإنى سأجعلُ لَهُ فهرساً مفرداً بعد تمام طبع الكتابِ ، على نمط اخترتُه لصناعته .

وأمّا فهارس الكتاب عامّة ، فستكون بعد تمام الكتاب كله . وهى تشتمل فهارس أسانيد الطبرى ، على طراز أرجُو أن أكون موفقاً فى اختياره وعمله .. ثم فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن ، وفهرسُ المعانى ،

والفهارس الجامعة لما أفردتُه من الفهارس مع كلِّ جزء . وهذا شيء لا بُدَّ منه ، لضبط ما فى التفسير من مناحى العلم المختلفة ، وليتيسّر على الطالب أن يجد بُغْيته حيث شاء من كتاب الطبرى ، لأنّه كثير الإحالة فى كتابه على ما مضى منه .

• • •

وبعد ، فقد بذلتُ جهدى ، وتحرّيتُ الصوابَ ما استطعتُ ، وأردتُ أن أجعَلَ نشرَ هذا الكتابِ الإمامِ فى التفسير ، زُلْفَى إلى اللهِ خالصةً . ولكن كيف يخلُص فى زماننا عملٌ من شائبة تشوبُه ! فأسألُ الله أن يتقبَّل منى ما أخلصتُ فيه ، وأن يغفر لى ما خالطه مِنْ أمرِ هذه الدنيا ، وأن يتغمّدنى برحمته يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . وأضرع إليه أن يغفر لَنَا ولإخوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمان ، وآخرُ دَعْوَانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين .

محمود محمد شاكر